مخاطبة النبي(ﷺ) لكل فئة بما يناسبها: دراسة تحليلية في ضوء السيرة النبوية

م.م. ابراهيم علي ابراهيم عبد
جامعة كركوك
مركز حوار الأديان والسلم المجتمعي للدراسات والبحوث
ibrahim.a.ibrahim@uokirkuk.edu.iq

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع: "مخاطبة النبي (ﷺ) لكل فئة بما يناسبها: دراسة تحليلية في ضوء السيرة النبوية" وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي بجمع النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والسيرة المتعلقة بالخطاب النبوي، ثم تحليلها وفق سياقاتها المختلفة، وقد أبرزت هذه الدراسة أن الخطاب النبوي امتاز بالوضوح والبساطة، ومراعاة الفروق الفردية ، والتوازن بين الترغيب والترهيب، وتنوعت وسائله بين القصص والحوار وضرب الأمثال والتوجيه المباشر، وقد خلص هذا البحث إلى أن الخطاب النبوي لم يكن مجرد وسيلة دعوية، بل كان منهجًا متكاملًا لبناء الفرد والمجتمع ، مما يجعله صالحًا لكل زمان ومكان، ويمكن الاستفادة منه في ميادين التربية والتعليم والدعوة والإرشاد ومعالجة الأزمات وغيرها.

الكلمات المفتاحية: المخاطبة، السنة، المؤمنين، المنافقين، المشركين.

The Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him): Communicating with Different Social Groups According to Their Contexts — An Analytical Study in Light of the Prophetic Biography

Asst. Lect. Ibrahim Ali Ibrahim Abd
Kirkuk University
Center for Interfaith Dialogue and Community Peace for Studies and Research

Abstract:

This research addresses the topic: "The Prophet's (peace be upon him) Address to Each Group According to Its Circumstances: An Analytical Study in Light of the Prophetic Biography".

The study adopts the inductive-analytical method, by collecting Qur'anic texts, Prophetic traditions (Hadith), and biographical accounts related to the Prophet's discourse، and then analyzing them within their various contexts.

The study reveals that Prophetic discourse was characterized by clarity and simplicity, consideration of individual differences, and a balance between encouragement and deterrence. Its methods varied between storytelling، dialogue, the use of parables, and direct guidance.

The research concludes that the Prophetic discourse was not merely a means of preaching, but a comprehensive methodology for building both the individual and society. This makes it applicable to all times and places, and its principles can be beneficial in the fields of education, guidance, preaching, diversity management، and crisis resolution, among others.
Keywords: Addressing, Prophetic Sunna, Believers, Hypocrites, Polytheists.

المقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن دراسة الخطاب النبوي تعد من أهم الدراسات التي تكشف عن عبقرية النبي (ﷺ) في الدعوة والتربية والإقناع، فقد امتاز خطابه بالقدرة على مخاطبة كل فئة بما يناسبها من الأسلوب واللغة والحجة، مراعيًا اختلاف العقول والبيئات والمواقف.

ولم يكن النبي (ﷺ) مجرد مبلغ للوحي، بل كان معلمًا مربيًا وقائدًا حكيمًا، عالج قضايا الناس بما يفهمون، وتحدث إلى الرجال والنساء والأطفال والمؤمنين والمنافقين والمشركين ، كلٌ بما يناسب حاله، مما يدل على سمو المنهج النبوي في فنون التواصل والتربية.

اما عن أسباب اختيار الموضوع فهي؛ لندرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت "مخاطبة النبي (ﷺ) لكل فئة بما يناسبها: دراسة تحليلية في ضوء السيرة النبوية" ، وإبراز المنهج النبوي في الدعوة والإقناع والتربية، وكذلك حاجة الدعاة والمربين اليوم إلى الاستفادة من الخطاب النبوي في واقعهم.

وهدف البحث إلى بيان مفهوم المخاطبة وكذلك بيان الأسس النظرية للمخاطبة في الإسلام، واستقراء أمثلة عملية من السيرة النبوية في مخاطبة الفئات المختلفة، وتحليل الخصائص البلاغية والتربوية في الخطاب النبوي.

اما عن منهجية البحث فاعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، باستقراء النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ثم تحليلها وفق منظور علمي.

وقد انتظم هذا البحث من مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، كانت المقدمة البوابة الرئيسة للدخول في صلب الموضوع، **المطلب الأول:** مفهوم المخاطبة وأسسها في الإسلام، و**المطلب**

الثاني: المخاطبة النبوية للفئات الاجتماعية(الرجال، والنساء، والاطفال)، **أما المطلب الثالث فهو:** الخطاب النبوي في الغزوات بين توجيه المؤمنين وموقفه من المنافقين والمشركين.

المطلب الأول

مفهوم المخاطبة وأسسها في الإسلام

أولًا: تعريف المخاطبة:

المخاطبة في اللغة: مأخوذة من الخطاب، وهو توجيه الكلام إلى الغير، قال ابن فارس: "الخاء والطاء والباء أصل واحد يدل على مراجعة كلام" (ابن فارس، 1969، صفحة 198).

أما الخطاب في الاصطلاح: فيمكن تعريفه بأنه:((الكلام الموجه إلى الغير بقصد التأثير فيه إفهامًا أو إقناعًا أو تربية)) (ابن منظور، 1993، صفحة 360).

ثانيًا: اسس الخطاب النبوي في القرآن.

يحتل الخطاب النبوي في القرآن والسنة موقعًا جوهريًا في البناء التربوي والدعوي للإسلام؛ إذ إن القرآن الكريم لم يقتصر على كونه كتاب هداية وتشريع، بل عرض شخصية النبي (ﷺ) بوصفه المخاطب الأول للأمة، ووجّه إليه عدّة أنماطٍ من الخطاب، إرشاديًا وتقويمًا وتكليفًا، فضلًا عن أن السنة النبوية جاءت تطبيقًا عمليًا لهذا الخطاب، فكان النبي (ﷺ) يُفصل للناس ما أُجمل في القرآن، ويبين ما أُشكل عليهم، ويجسد القيم القرآنية في أفعاله وأقواله.

1. الدعوة بالحكمة: الحكمة تعني إصابة الحق بالعلم والعقل، ووضع الكلام في موضعه، وقد قررها القرآن أساسًا للدعوة قال الله (عز وجل): ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل: الآية 125)، ويتبين هنا أن الحكمة ليست مجرد أسلوب، بل هي توافق المعنى مع المقام، واختيار الألفاظ التي تخاطب العقول بوضوح ، وتراعي الحكمة حاجات المخاطَب العقلية، فلا يقال له ما يعجز عن فهمه، ويتضح ذلك جليًا حينما بعث النبي (ﷺ) معاذًا إلى اليمن، قال له:((إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله...)) (ابن حنبل، 2001، صفحة 498)، ويتضح من خطاب النبي(ﷺ) لمعاذ أنه بدأ بالأصل قبل الفروع، وهو عين الحكمة.

2-المخاطبة بالموعظة الحسنة: الموعظة مأخوذة من كلمة الوعظ، وهو التذكير بما يلين القلب من ثواب وعقاب، قال ابن منظور:((الوعظ: النصح والتذكير بالعواقب، على وجه الترغيب والترهيب)) (ابن منظور، 1993، صفحة 466)، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل:125) هذه الآية تعدّ أصلًا في المنهج الدعوي؛ إذ جعلت الموعظة الحسنة أداة رئيسة في الدعوة، لكنها مقيدة بالصفة الحسنة، أي: الخالية من القسوة والفظاظة، وقد جسد النبي (ﷺ)هذا المنهج في أقواله وخطبه، فقد كان يعظ أصحابه بكلمات موجزة بليغة، فتتأثر قلوبهم وتذرف عيونهم، كما في حديث العرباض بن سارية قال:((وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون...)) (البزار، 2009، صفحة 137)، والموعظة الحسنة في الخطاب النبوي تمثل منهجًا متكاملًا يجمع بين البلاغة والإقناع، وبين التأثير النفسي والتوجيه التربوي، فهي ليست مجرد أسلوب وعظي تقليدي، وإنما منظومة دعوية تقوم على الرحمة والصدق، ومراعاة أحوال الناس، مما يجعلها صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.

3-الجدال بالتي هي احسن: يعدّ مبدأ المجادلة بالتي هي أحسن من أهم الأسس القرآنية في تنظيم الخطاب الدعوي والحوار مع المخالفين، وقد ورد هذا التوجيه الرباني في قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل:125) والجدال في اللغة:((مأخوذ من الجَدْل بمعنى شدة الفتل، ثم استُعمل للدلالة على قوة الخصومة بالحجة)) (ابن منظور، 1993، صفحة 103) غير أن القرآن قيد هذا الجدال بكونه "بالتي هي أحسن"، أي: بأرقى أسلوب وافضل طريقة، بعيدًا عن العنف اللفظي، وقد فسر الإمام ابن كثير هذا التوجيه إذ قال:((أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن الخطاب)) (ابن كثير، 1998، صفحة 526)، في حين أوضح الإمام الطبري أن المراد هو :((دعوتهم إلى الحق بأجمل الوجوه وألطفها)) (الطبري، 2001، صفحة 400) ويتضح من هذين التفسيرين أن الجدال المشروع في الإسلام يقوم على ركنين هما: إقامة الحجة بالبرهان، وعرضها بأحسن الاخلاق.

وعند النظر في السيرة النبوية نجد نماذج للمجادلة بالتي هي أحسن، فقد جادل النبي (ﷺ) نصارى نجران بالحجة القرآنية من غير سباب ولا تهكم، بل ختم الحوار بالدعوة إلى المباهلة في صورة سلمية تحفظ للآخرين حقهم في القبول أو الرفض (ابن هشام، 1955، صفحة 573)، وجادل اليهود في المدينة، إذ كان يرد على أسئلتهم ببيان قرآني، مثلما أجابهم حين سألوه عن الروح قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الاسراء:85)، بل حتى في المواقف العملية التي قد تستفز الإنسان، كان النبي(ﷺ) يطبق هذا المنهج، كما في حادثة الأعرابي الذي بال في المسجد، إذ لم يقابله

بالعنف، وإنما وجه أصحابه إلى تركه ثم دعاه برفق إلى تعليم آداب المسجد (البخاري، 1993، صفحة 89) فكانت مجادلته بالحسنى أنموذجًا يبرز أن الإسلام دين حوار قائم على الحكمة والرحمة.

ثالثًا: أسس الخطاب النبوي في السنة.

1- الارتباط بالوحي: أول ما يمتاز به الخطاب النبوي أنه ليس خطابًا بشريًا صرفًا، بل هو امتداد للوحي وبيان للقرآن الكريم، فقد قال النبي (ﷺ): ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)) (ابو داود السجستاني، 2009، صفحة 13) فالسنة النبوية جاءت مفسرة للقرآن وموضحة لمعانيه، ويتضح هذا الأساس في مواقف عديدة من السيرة، منها ما ورد في وصية النبي(ﷺ) لمعاذ حين بعثه إلى اليمن، قال له: إذ بدأت بتعليمهم ابدأ بالتوحيد، ثم الصلاة، ثم الزكاة، وفق ترتيب الأحكام الذي دل عليه القرآن (البخاري، 1993، صفحة 544) ، مما يدل أن الخطاب النبوي كان ينهل من الوحي، ويقدم التشريع والتربية وفق ما أمر الله (عز وجل).

2-الاساس الاخلاقي: الخطاب النبوي يقوم على قاعدة أخلاقية راسخة، إذ لم يكن يهدف إلى مجرد إيصال المعلومة، بل كان يسعى إلى تهذيب النفوس وإحياء مكارم الأخلاق، وقد صرح النبي (ﷺ) بهذا البعد حينما قال: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)) (ابن حنبل، 2001، صفحة 512)، وما دل على ذلك ما جرى مع الأعرابي الذي جبذ النبي (ﷺ) بردائه حتى أثر في عنقه، وقال: ((يا محمد، أعطني من مال الله الذي عندك)) (ابن حنبل، 2001، صفحة 21) لم يغضب (ﷺ) بل تبسم، وأمر أن يُعطى الرجل، فالموقف يجسد خطابًا أخلاقيًا يعلّم الحلم والرحمة، كذلك عندما جاءه شاب يستأذنه في الزنا، فلم يتوجه النبي(ﷺ)إلى بيان الحد والعقوبة لهذا العمل بل خاطب وجدانه، وقال: ((أتحبه لأمك؟؟...)) (الطبراني، 1994، صفحة 162) حتى اقتنع الشاب، وهذا يبرز كيف جعل النبي (ﷺ) من الأخلاق أساسًا راسخًا في خطابه الدعوي.

3- الأساس التربوي والتعليمي: الخطاب النبوي ليس مجرد تلقين، بل هو عملية تربوية تستهدف بناء العقل والروح معًا، فقد تنوعت أساليبه النبي (ﷺ) بين السؤال والجواب، وضرب الأمثلة، والتدرج في التعليم، وتكرار المعاني لترسيخها، وما يدل على ذلك حديث جبريل المشهور الذي جاء في صورة أسئلة وأجوبة عن الإسلام والإيمان والإحسان (مسلم، 1955، صفحة 36)، وهو أسلوب تربوي ينمي ويحفز التفكير، فضلًا عن أن توجيهه لمعاذ حين بعثه إلى اليمن بالبدء بالأصول قبل الفروع (البخاري، 1993، صفحة 544) يبرز الأساس التربوي القائم على التدرج في التعليم، ولا يقتصر الخطاب النبوي على القول بل يشمل الفعل؛ فقد كان النبي (ﷺ) يعيش ما يدعو إليه، و يتضح ذلك لما جلس بين أصحابه، وأكل التمر نزع النوى بيده وقال: ((إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد)) (ابو يعلى، 2013، صفحة 94)، هذا الخطاب العملي التربوي افضل من أي موعظة لفظية.

4- الأساس الإنساني والاجتماعي: الخطاب النبوي يتجاوز حدود الجماعة المسلمة ليخاطب البشرية كافة، ويتجلى ذلك في خطبة الوداع: ((يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا أسود على أحمر ، ولا أحمر على أسود إلا بتقوى الله...)) (ابن المبارك، 1986، صفحة 146) وهذا الخطاب يؤكد وحدة الأصل الإنساني ونبذ التمييز.

وقد ظهر هذا الأساس ايضًا في وثيقة المدينة، التي نظمت العلاقة بين المسلمين واليهود، وأقرت مبدأ التعاون والدفاع المشترك (ابن هشام، 1955، صفحة 503)، كما تجلى في موقف النبي(ﷺ) يوم الحديبية حين خاطب قريشًا بخطاب عقلاني قائم على السلم قال:((أنا لم نأت لقتال وإنما جئنا عمارًا)) (البيهقي، 1985، صفحة 133) فكان خطابه عامل بناء اجتماعي وتعايش إنساني.

5- الأساس العقلي والحجة: من أبرز ما يميز الخطاب النبوي اعتماده على الإقناع العقلي فقد كان يخاطب عقول الناس بالبرهان، وما يدل على ذلك موقفه مع الشاب الذي أراد الزنا، إذ لم يكتف بالتحريم، بل أقنعه بسلسلة من الأسئلة العقلية التي لا يملك الإنسان أمامها إلا التسليم (الطبراني، 1994، صفحة 162)، وكذلك في حواره مع نصارى نجران، استعمل الحجة القرآنية ثم دعاهم إلى المباهلة، فلجأوا إلى الانسحاب بعد أن عجزوا عن الرد (ابن هشام، 1955، صفحة 573).

ومما تقدم، يتبين أن الخطاب النبوي يقوم على أسس متينة جعلته فريدًا في طبيعته وأثره، فهو خطاب موصول بالوحي، قائم على الأخلاق وموجه إلى التربية والتعليم، ممتد إلى الإنسانية والمجتمع، ومؤسس على العقل والحجة، وقد جسد النبي(ﷺ) هذه الأسس في سيرته قولًا وفعلًا، فكان خطابه أداة إصلاح شاملة في ميادين الدين والأخلاق، وإن الاستفادة هذه الأسس اليوم يعد ضرورة في صياغة خطاب إسلامي معاصر قادر على مخاطبة العقول والقلوب معًا.

رابعًا: خصائص الخطاب النبوي

يمثل الخطاب النبوي أحد النماذج المميزة في تاريخ البشرية، إذ جمع بين البلاغة والحكمة، وبين العمق المعرفي والبساطة في العرض، وهو خطاب لم يقتصر أثره على جيل الصحابة (رضي الله عنهم)، بل ظل صالحًا في كل زمان ومكان، ومن أبرز خصائص هذا الخطاب ما يأتي:

1- وضوح المعنى وسهولة الأسلوب:

من أبرز سمات خطاب النبي (ﷺ) وضوح المعنى، فقد كان يبتعد عن الغموض والتعقيد، ويعتمد على عبارات مباشرة يفهمها الجميع، فعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) :((كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تُفهم عنه)) (البخاري، 1993، صفحة 48)، ويظهر هذا جليًا في حديث جبريل المشهور عندما سأل عن

الإسلام والإيمان والإحسان، إذ أجاب النبي (ﷺ)بألفاظ محددة لا لبس فيه (مسلم، 1955، صفحة 36)، إن هذا المستوى من الوضوح مكن السامعين على اختلاف طبقاتهم من استيعاب خطابه والعمل به.

2- الإيجاز البليغ:

أوتي النبي (ﷺ) جوامع الكلم، وهي ميزة جعلت عباراته القليلة تتضمن معاني كثيرة، وما دل على ذلك قوله (ﷺ): ((بعثت بجوامع الكلم)) (ابن حنبل، 2001، صفحة 28)، ومن أوضح أمثلة ذلك قوله(ﷺ): ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)) (الحميدي، 1996، صفحة 506) فهذا الحديث الموجز وضع قاعدة شاملة لحقيقة المسلم الحق، إذ جمع في بضع كلمات أصل السلوك الاجتماعي في الإسلام، وكذلك حديث النبي (ﷺ):((الدين النصيحة)) (الشافعي، 2004، صفحة 67)، الذي يلخص جوهر الدين في كلمة واحدة ذات أبعاد تربوية وأخلاقية، هذه القدرة على الإيجاز جعلت خطابه سهلًا للحفظ والانتقال بين الأجيال، مع بقاء دلالته مفتوحة للتأمل والفهم.

3-مراعاة حال المخاطبين:

كان النبي (ﷺ) يخاطب الناس على قدر عقولهم وأحوالهم، فمن سأل سؤالًا عامًا أجابه بإجابة تناسب حاله، ومن سأله عن مسألة خاصة أجابه بما يلائمه، وأن خطابه لم يكن على وتيرة واحدة، بل يختلف بحسب حال السائل أو السامع، مثل ذلك الرجل الذي سأل النبي(ﷺ) عن افضل الأعمال فأجاب الصلاة على أنها أفضل الأعمال، ثم برّ الوالدين ثم الجهاد، فكانت اجابته (ﷺ) بما يناسب حال السائل (البخاري، 1993، صفحة 2227)، مما يدل على مرونة الخطاب النبوي وقدرته على ملامسة حاجات الناس المختلفة، دون أن يخرج عن الأصول العامة للدين.

ومن ذلك أيضًا أن خطابه للأطفال يختلف عن خطابه للصحابة الكبار أو للوفود القادمة من القبائل، فهذا التنوع يُبرز حكمة الخطاب النبوي في إيصال المعنى بما يناسب عقل المتلقي وظروفه.

4- التدرج في عرض الأحكام:

لم يفرض النبي (ﷺ) التشريعات دفعة واحدة، بل اعتمد أسلوب التدرج الذي يراعي واقع المجتمع وتقبله للأحكام، وأبرز مثال على ذلك وصية النبي(ﷺ) لمعاذ حين بعثه إلى اليمن (البخاري، 1993، صفحة 544)،وهذا التدرج أسلوب حكيم في الخطاب، يهيئ النفوس لتقبل الأمر الشرعي، ويراعي واقع الناس وعاداتهم، مما يعكس الحكمة التربوية في خطابه(ﷺ).

5-الرحمة والرفق:

الخطاب النبوي مفعم بالرحمة ومتسم باللين، حتى مع المخالف أو الجاهل، وقد وصفه القرآن الكريم ، إذ قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (سورة ال عمران: 159) ، ومن الأمثلة البارزة على ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فقام النبي(ﷺ) يوجهه بلين ورفق قائلًا: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاة، ثم أمر بصب الماء على موضع البول)) (مسلم، 1955، صفحة 163)، وبذلك جمع بين التعليم والرفق، فكان أثر الخطاب أبلغ من الزجر والقسوة.

6-استعمال التشبيه والتمثيل:

كان النبي (ﷺ) كثيرًا ما يقرب المعاني بالأمثال والتشبيهات؛ لأنها أكثر رسوخًا في الأذهان، قال(ﷺ): ((مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير)) (مسلم، 1955، صفحة 37)، فشبه الصديق الصالح بالعطر، والسيئ بالنار، ومن الأمثلة على ذلك ايضًا قوله(ﷺ):((أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة)) (ابن الجوزي ع.، 2005، صفحة 318)، وأشار بأصبعيه وهذا الأسلوب التصويري يزيد الخطاب وضوحًا ويساعد على ترسيخ المعنى في ذهن السامع.

7-الموازنة بين الترغيب والترهيب:

كان خطاب النبي(ﷺ) يجمع بين الترغيب في الطاعات والترهيب من المعاصي، بحيث يوازن بين الخوف والرجاء، فمن الترغيب قوله(ﷺ): ((من صلى البردين دخل الجنة)) (الدارمي، 2000، صفحة 893)، ومن الترهيب قوله(ﷺ):((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا)) (ابن أبي شيبة، 2015، صفحة 282)، هذا التوازن يربي الإنسان على الخوف من الله ورجاء رحمته في الوقت نفسه، وهو منهج تربوي متكامل.

8-التوافق بين القول والفعل

أعظم ما يميز خطابه (ﷺ) أن أقواله كانت مطابقة لأفعاله، فلم يكن يأمر الناس بشيء ثم يخالفه، وقد شهدت عائشة (رضي الله عنها) فقالت:((كان خلقه القرآن)) (ابن حنبل، 2001، صفحة 148)،هذا الارتباط بين القول والعمل أعطى خطابه مصداقية عالية، وجعل أثره مضاعفًا في النفوس.

ومما تقدم، يمكن القول إن خصائص الخطاب النبوي تعكس عظمة الرسالة ، إذ اجتمع فيه الوضوح والإيجاز والرحمة والحزم والعقل والعاطفة، مع القدوة العملية التي ترجمت المعاني إلى واقع، لذا بقي هذا الخطاب حيًّا، تتجدد دلالاته في كل عصر، ويظل مصدرًا اساسًا في مجالات التربية والدعوة والإصلاح.

المبحث الثاني

المخاطبة النبوية للفئات الاجتماعية(الرجال، والنساء، والاطفال)

اولًا: مخاطبة النبي(ﷺ) للرجال.

إن خطاب النبي (ﷺ) للرجال شكّل جانبًا محوريًا في بناء المجتمع الإسلامي الأول؛ فقد كانوا عماد الدولة وحملة الرسالة والمكلفين بحماية الدعوة ونشرها، وقد اتسم هذا الخطاب بالتنوع بين التوجيه الديني والوصايا الأسرية والتعليم العسكري، وفيما يأتي عرض لأهم النماذج من مخاطبة النبي (ﷺ) للرجال.

1-المخاطبة التعبدية(صلاة الجماعة)

من أبرز ما خاطب به النبي(ﷺ) الرجال، توجيههم في شؤون العبادة، بعدّهم المسؤولين غالبًا عن إقامة الشعائر في المجتمع، ففي صلاة الجماعة قال النبي (ﷺ):((فضل صلاة الرجل في جماعة على صلاة الرجل وحده خمس وعشرون درجة)) (الصنعاني، 1983، صفحة 524)، هذا الحديث يُبرز أهمية صلاة الجماعة للرجال، إذ اخبر النبي (ﷺ) مضاعفة الأجر بدرجات عظيمة،، فضلًا عن أن في صلاة الجماعة مظاهر المساواة، إذ يقف الغني بجانب الفقير، والعربي بجوار الأعجمي دون تمييز، و لم يكتفِ النبي(ﷺ) بالوعظ بل جعل نفسه قدوة عملية، ويتضح ذلك في وفد مالك بن الحويرث وأصحابه حين مكثوا عند النبي (ﷺ) عشرين يومًا يتعلمون صلاته، ثم أمرهم أن يرجعوا إلى أهليهم ليعلموهم (البغوي، 1995، صفحة 206).

2-المخاطبة الاجتماعية والأسرية للرجال:

الوصية بالنساء: قال النبي (ﷺ) موصيًا بالنساء:((استوصوا بالنساء خيرًا)) (ابن الأثير، 1971، صفحة 503)هذا خطاب موجه للرجال المجتمعين في أعظم مؤتمر إسلامي في حجة الوداع سنة(10هـ) (الواقدي، 1996، صفحة 1088) اقره قاعدة اجتماعية أبدية، في حسن معاملة النساء، وجاء الخطاب بصيغة وصية عامة، مما يبين أنه تشريع دائم لا يقبل التغيير، وقد عاش(ﷺ) قدوة في بيته، فكان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويخدم أهله، كما قالت عائشة(رضي الله عنها) (ابن سعد، 1990، صفحة 275).

النفقة على الأهل:

جعل الإسلام النفقة على الاهل عملًا تعبديًا يثاب عليه المسلم، وفي هذا السياق قال النبي (ﷺ):((إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة)) (البخاري، 1993، صفحة 30) يوضح هذا الحديث أن النفقة على الأهل لا تقف عند حدود الواجب المادي، بل ترتقي إلى مرتبة العبادة إذا صاحبتها نية صالحة، إذ

جعلها النبي (ﷺ) في منزلة الصدقة التي يترتب عليها للأجر، فالإنفاق هنا ليس مجرد التزام مادي، بل عبادة إذا قصد بها الرجل وجه الله، وقد جسد النبي (ﷺ) هذا المعنى حين أنفق على أهله بكرم واعتدال، وحث أصحابه على ذلك.

التوازن بين العبادة وحقوق الزوجة:

يتضح ذلك في وصية النبي (ﷺ) لعبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) وجاءت في سياق توجيهه إلى الاعتدال في العبادة ورعاية حقوق الزوجة، فقد كان عبد الله بن عمرو(رضي الله عنهما) يقوم الليل ويصوم النهار، ويكثر من العبادة حتى شق ذلك عليه، فبلغه النبي (ﷺ) فقال له:((ألم أُخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لزوجك عليك حقًّا....)) (البخاري، 1993، صفحة 697)، هذه الوصية النبوية تؤكد أن العبادة في الإسلام لا تعني الانعزال عن مسؤوليات الأسرة، بل تقوم على التوازن بين العبادة وحقوق الزوجة والبيت، والنفقة والقيام على شؤون الزوجة ليست منة وإنما واجب شرعي، إذ ربط النبي (ﷺ) بين العبادة الصحيحة وبين القيام بحقوق الأهل.

3- المخاطبة للرجال في الجهاد: خاطب النبي(ﷺ)أصحابه قائلًا:((يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا)) (البخاري، 1993، صفحة 1082) ،هذا خطاب عسكري موجّه للرجال المجاهدين، فيه تربيتهم على الواقعية إذ ينهى عن التهور، ويرسخ قيمة الدعاء بالعافية، مع الأمر بالصبر عند المواجهة، فهو توازن بين الحذر والشجاعة، ويتضح تطبيق هذا الخطاب في غزوة بدر وأحد والخندق؛ إذ كان النبي (ﷺ) يحض الرجال على الثبات، لكنه في الوقت نفسه يتضرع بالدعاء بالنصر والعافية، كما في بدر حين قال:((اللهم أنجز لي ما وعدتني)) (ابن سيد الناس، 1993، صفحة 298).

ومما تقدم، يمكن القول إن المخاطبات النبوية للرجال تمثل منهجًا متكاملًا في التربية والتوجيه الديني، والإصلاح الاجتماعي في الأسرة، والتنظيم السياسي والعسكري، فضلًا عن أن النظر في السيرة النبوية يكشف أن النبي (ﷺ) لم يكن يكتفي بالقول، بل جسّد المعاني في حياته العملية، فكان خطابه للرجال منهجًا لبناء الأمة على أسس القوة والإيمان والعدل.

ثانيًا: مخاطبة النبي(ﷺ) للنساء.

تعدّ مخاطبة النبي محمد (ﷺ) للنساء من أبرز معالم خطابه الدعوي والتربوي، إذ حرص على أن يشمل خطابه المرأة كما شمل الرجل، فكان يوجهها في مجالات العبادات والأخلاق والحقوق والقضايا الاجتماعية، ومما يلفت النظر أن هذه المخاطبة لم تكن عرضية أو ثانوية، بل كانت مقصودة لبناء شخصية المرأة المسلمة وتمكينها من أداء رسالتها.

1-المخاطبة النبوية للنساء في العبادات:

إن ما يبرز في خطاب النبي (ﷺ) للنساء هو تأكيد شمولية التكليف الشرعي، فقد روى البخاري عن أم عطية الأنصارية (رضي الله عنها) أنها قالت:((أمرنا رسول الله ﷺ أن نُخرج في العيدين العواتق وذوات الخدور...)) (مسلم، 1955، صفحة 20)، وهذا الحديث يوضح أن النبي (ﷺ) خاطب النساء مباشرة، وأكد لهن ضرورة المشاركة في الشعائر العامة، مما يربي فيهن روح الانتماء لجماعة المسلمين.

2- خطاب النبي (ﷺ) للنساء في التربية والأخلاق:

خاطب النبي (ﷺ) النساء بعد خطبة العيد، كما في حديث ابن عباس(رضي الله عنه)قال:((ثم أتى النساء فوعظهن، وذكرهن، وأمرهن أن يتصدقن)) (البخاري، 1993، صفحة 295)، مما يبين أن النبي (ﷺ) خصّ النساء بخطاب منفصل يراعي خصوصيتهن، وهذا الخطاب المباشر يعكس اهتمام النبي (ﷺ) ببناء الوعي التربوي لدى المرأة، وعدم الاكتفاء بتركيز الخطاب على الرجال، فقد كان (ﷺ) يدرك أن إصلاح المجتمع لا يتم إلا بإصلاح كل أفراده، رجالًا ونساءً.

3- الخطاب النبوي في تربية المرأة على الطاعة والعبادة:

خاطب النبي(ﷺ) النساء بما يناسب فطرتهن و دورهن في الحياة، فوجههن الى ما فيه صلاح دينهن ودنياهن من غير افراط ولا تفريط، ومن الاحاديث النبوية الجامعة في هذا الباب قوله(ﷺ):((إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت)) (ابن ماجه، 2009، صفحة 65)، هذا الحديث يمثل منهجًا تربويًا متكاملًا موجها للمرأة، إذ جمع بين أركان العبادات المتمثلة في الصلاة والصيام، وبين استقامة الأخلاق بحفظ العفة، و استقرار الأسرة بطاعة الزوج بالمعروف، ويبين هذا التوجيه النبوي عن رؤية الإسلام المتوازنة لدور المرأة، إذ لم يحملها فوق طاقتها، بل جعل التزامها بهذه الأسس البسيطة سبيلًا للفوز بالجنة ، وبذلك يظهر تكريم الإسلام للمرأة وإعلاؤه لمكانتها.

4- خطاب النبي (ﷺ) للنساء في القضايا الاجتماعية:

نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الممتحنة:12) وقد بايع النبي (ﷺ) النساء على التوحيد والطاعة، ويتضح ذلك في بيعة العقبة الثانية، إذ شاركت النساء في البيعة، مثل: أم عمارة نسيبة بنت كعب (ابن حزم، 1995، صفحة 85)، التي ضربت مثالًا في نصرة الإسلام، وقد خاطبها النبي (ﷺ) تقديرًا لموقفها في غزوة

أحد فقال:((ما التفت يمينًا ولا شمالًا إلا وأراها تقاتل دوني)) (الغضبان، 1992، صفحة 346)، مما يبرز أن خطاب النبي (ﷺ) للنساء لم يكن خطابًا نظريًا، بل خطابًا فاعلًا في الميدان.

ويتضح بهذا العرض أن خطاب النبي (ﷺ) للنساء لم يكن شكليًا أو محدودًا، بل كان خطابًا شاملًا، جمع بين العبادة والتربية والتعليم والقضايا الاجتماعية وغيرها، وقد جسدت السيرة النبوية هذا الخطاب في مواقف متكررة، مما يثبت أن المرأة كانت مخاطبًا أساسًا في الإسلام.

ثالثًا: مخاطبة النبي(ﷺ) للأطفال.

حظيت الطفولة في الخطاب النبوي بمكانة متميزة، إذ كان النبي(ﷺ) يدرك أن التربية في سن مبكرة هي الأساس في بناء شخصية الإنسان وتوجيهه نحو الاستقامة، وقد تجلت هذه العناية في مخاطبته للأطفال بخطاب يجمع بين الرحمة والتعليم والتبسيط وبما ينسجم مع قدراتهم العقلية والنفسية، ويكشف هذا الجانب من السيرة النبوية عن وعي تربوي وإنساني رائد سبق النظم التربوية الحديثة.

1- تعليم العقيدة بأسلوب مبسط:

من أبرز صور مخاطبة النبي (ﷺ) للأطفال ما ورد في حديث عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) حينما قال: كنت خلف رسول الله (ﷺ) يومًا، فقال:((يا غلام إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...)) (الترمذي، 2009، صفحة 489)، في هذا الموقف يلاحظ أن النبي (ﷺ) استعمل أسلوب النداء (يا غلام)؛ ليهيئ الطفل نفسيًا لتلقي التوجيه، ثم قدم وصايا قصيرة محكمة تحمل معاني التوحيد، والتوكل على الله واليقين بنصره، وقد أثمرت هذه التربية المبكرة في شخصية ابن عباس، فغدا علمًا من أعلام الأمة في التفسير والفقه، وهكذا يبين لنا الخطاب النبوي كيف تُغرس أصول العقيدة في قلوب الناشئة بلغة ميسّرة قريبة من الفهم.

2-التربية العملية على الآداب اليومية:

من صور المخاطبة النبوية العملية للأطفال ما ورد عن عمر بن أبي سلمة (رضي الله عنه) قال: ((كنت غلامًا في حجر رسول الله (ﷺ)، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال: يا غلام، سمّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك)) (البخاري، 1993، صفحة 2056)، هذا الخطاب جاء قصيرًا واضحًا، يرشد الطفل إلى ثلاث قواعد أساسية في آداب الطعام، واللافت أن النبي (ﷺ) لم ينهر الطفل أو يحرجه، بل قدّم له التعليم في صورة إرشادية لطيفة، وقد جسّد هذا الأنموذج حرصه على ربط التربية بالسلوك اليومي، بما يجعلها عادة مستقرة في الشخصية منذ الصغر، مما انعكس في تربية جيل نشأ على النظام والتهذيب.

3- مخاطبة الأطفال بروح الدعابة والمرح:

لم يكن خطاب النبي (ﷺ) للأطفال مقتصرًا على التعليم ، بل تخلله جانب من المرح الذي يعكس رحمته وحسن خلقه، فقد روى أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) كان يقول لأخيه الصغير: ((يا أبا عمير، ما فعل النغير؟)) (ابن حنبل، 2001، صفحة 233)، في هذا الموقف خاطب النبي (ﷺ) طفلًا حزينًا فقد عصفوره، فأدخل السرور على قلبه بمزاح رقيق يناسب سنه، إن هذه المخاطبة تكشف عن عمق البعد النفسي في السيرة النبوية، إذ يُشعر الطفل بالاهتمام والاحتواء، مما يعزز ثقته بنفسه ويجعله أكثر استعدادًا لتلقي التوجيه التربوي.

4- مراعاة حق الطفل في الهدي النبوي.

من مواقف السيرة التي تجسد خطاب النبي (ﷺ) للأطفال في مراعاة حقهم موقفه مع الغلام الذي كان على يمينه حين شرب النبي(ﷺ) من قدح اللبن، وكان على يساره كبار الصحابة، فقال للغلام:((أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟" فقال: "لا والله، لا أوثر بنصيبي منك أحدًا)) (البخاري، 1993، صفحة 865)، فناول النبي (ﷺ) القدح للغلام، هذه الموقف يكشف عن منهج تربوي قائم على احترام حقوق الطفل، وعدم إلغائها أمام هيبة الكبار، فالنبي (ﷺ) لم يفرض على الطفل التنازل، بل خيره فأثبت له حقه وعزز ثقته بنفسه، وهو درس تربوي في العدالة والمساواة.

5- الرحمة والاحتواء العملي للأطفال:

لم يكن خطاب النبي (ﷺ) للأطفال لفظيًا فقط، بل كان -في كثير من الأحيان- عمليًا، فقد كان يحمل الحسن أو الحسين على ظهره وهو ساجد في الصلاة، ويطيل السجود حتى يفرغا من اللعب (ابن حنبل، 2001، صفحة 386)، هذا الموقف يوضح أن الرحمة جزء من العبادة، وأن التعامل مع الأطفال برفق لا يتعارض مع الخشوع، بل هو تجسيد لجوهر الإسلام القائم على التوازن بين العبادة والرحمة، فضلًا عن أن وقوع هذا المشهد في المسجد النبوي وأمام الصحابة جعله رسالة تربوية موجهة للأمة كلها.

ويتضح بدراسة مخاطبة النبي (ﷺ) للأطفال في ضوء السيرة النبوية أن خطابه لم يكن مجرد تعليم مباشر، بل كان نظامًا تربويًا متكاملًا يجمع بين التعليم والرحمة، وبين تهذيب السلوك وبناء الشخصية، فقد علمهم العقيدة بعبارات موجزة تناسب مداركهم، ورباهم على الآداب في بيته ومسجده، وراعى مشاعرهم النفسية بالممازحة والتحفيز، وأرسى فيهم قيم العدالة والكرامة، وأعدهم ليكونوا قادة وعلماء في المستقبل.

المبحث الثالث

الخطاب النبوي في الغزوات بين توجيه المؤمنين وموقفه من المنافقين والمشركين

اولًا: مخاطبة النبي (ﷺ) للمؤمنين

امتاز الخطاب النبوي في الغزوات بأنه خطاب جامع؛ يجمع بين التحفيز الإيماني، والتثبيت النفسي، والتوجيه العسكري، والتربية الأخلاقية، وقد جسّد النبي (ﷺ) بمخاطبته للمؤمنين في بدر، وأحد، والأحزاب، وخيبر، وتبوك، وحنين وفتح مكة، منهجًا متكاملًا في القيادة، إذ لم يكن مجرد قائد عسكري، بل كان مربيًا للنفوس وهاديًا للقلوب، وبالسيرة النبوية يتضح أن خطابه (ﷺ) شكّل أساسًا في إعداد الأمة وتثبيتها.

1-مخاطبته (ﷺ) للمؤمنين في غزوة بدر:

خاطب النبي (ﷺ) أصحابه يوم بدر فقال:((قُوموا إلى جَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ والأرضُ)) (ابن الجوزي ج.، 1992، صفحة 140)، فكان هذا الخطاب يرفع معنوياتهم، ويحوّل المعركة من مواجهة بشرية محدودة إلى معركة ذات بعد إيماني، إذ يرتبط القتال بالجزاء الأخروي، وقد أثر هذا الخطاب في نفوس الصحابة حتى إن عمير بن الحمام (رضي الله عنه) لما سمعه قال:((بخٍ بخٍ، ما بيني وبينها إلا أن أُقتل)) (ابن هشام، 1955، صفحة 627) ثم قاتل حتى استُشهد، مما يوضح كيف حوّل الخطاب النبوي ساحة بدر إلى مدرسة إيمانية تحث على الصبر والتضحية.

2- مخاطبته (ﷺ) للمؤمنين في غزوة أُحد:

عندما خرج النبي (ﷺ) مع أصحابه في أُحد، خاطب الرماة قائلًا:((إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا)) (ابن كثير، 1999، صفحة 382)، محذرًا إياهم من ترك مواقعهم مهما كانت نتائج القتال، وكان هذا الخطاب يهدف إلى ترسيخ مبدأ الطاعة والانضباط، لكن حين خالف بعضهم الأمر وتركوا مواقعهم، وقعت الهزيمة الجزئية، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة ال عمران: 152)، وبهذا تحوّل خطاب النبي (ﷺ) قبل القتال إلى تذكير عملي بأهمية الطاعة، وصار بعد القتال وسيلة للتربية وتصحيح الخطأ، ليكون درسًا للأمة في عاقبة مخالفة القيادة الشرعية.

3- مخاطبته (ﷺ) للمؤمنين في غزوة خيبر.

في غزوة خيبر خاطب النبي (ﷺ) أصحابه قائلًا:((لأُعطينّ الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)) (الذهبي، 1993، صفحة 407)، كان هذا الخطاب يحمل معاني التشريف والتحفيز، إذ جعل كل الصحابة يتشوقون لنيل هذه المنزلة، فلما أعطى الراية لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) استبشر الصحابة، وانطلق علي مقاتلًا حتى فُتحت خيبر، وهكذا تحول الخطاب النبوي إلى أداة لتحفيز الروح القتالية، وربط النصر بمحبة الله ورسوله، فارتفعت الروح المعنوية للمؤمنين.

4- خطاب العفو والتسامح عند فتح مكة:

عندما فتح النبي(ﷺ) مكة كان الموقف يتيح للنبي(ﷺ) الانتقام من المشركين، لكنه (ﷺ) خاطب أهل مكة قائلًا:((اذهبوا فأنتم الطلقاء)) (ابن هشام، 1955، صفحة 412)، لقد كان هذا الخطاب ذروة في التربية الأخلاقية للمؤمنين، إذ علمهم أن النصر لا يعني القتال والبطش، بل يفتح باب العفو والإصلاح، وبهذا تحولت الغزوة من لحظة انتقام إلى لحظة بناء إنساني وأخلاقي، وأثبت أن الإسلام دين رحمة حتى في لحظات الغلبة.

يتبين من هذه النماذج أن خطاب النبي (ﷺ) للمؤمنين في الغزوات قد جمع بين التحفيز الروحي، والتربية الأخلاقية، والتوجيه العسكري، ففي بدر ارتبط الخطاب بالجنة، وفي أحد بالتزام الطاعة، وفي خيبر بوعد النصر، وفي فتح مكة بالعفو، وهكذا كان خطابه (ﷺ) منهجًا ربانيًا يبني الفرد والجماعة، ويربط النصر دائمًا بالإيمان والصبر والطاعة.

ثانيًا: مخاطبة النبي (ﷺ) للمنافقين.

1- مخاطبته (ﷺ) للمنافقين في غزوة بني المصطلق – خطاب معالجة الفتنة:

عندما قال عبد الله بن أبي:((لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)) (النمري، 1982، صفحة 189)، غضب عمر(رضي الله عنه) واستأذن في قتله، لكن النبي (ﷺ) خاطب أصحابه قائلًا:((دَعْهُ، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه)) (البيهقي، 1985، صفحة 54)، هذا الخطاب لم يكن مهادنة بل كان سياسة حكيمة، إذ فضح كلام المنافق وربط المؤمنين بسمعة الإسلام، ليبين أن المصلحة العامة فوق ردود الفعل الانفعالية.

2- مخاطبته(ﷺ) للمنافقين في حادثة مسجد الضرار:

من أبرز صور مواجهة النبي (ﷺ) للمنافقين حادثة مسجد الضرار، إذ بنى المنافقون مسجدًا ليكون مركزًا للتآمر، فنزل الوحي: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ(108)﴾(سورة التوبة:107-108)، فجاء خطاب النبي (ﷺ) بفعله حين أمر بحرق المسجد وهدمه (ابن هشام، 1955، صفحة 530)، هذا الخطاب العملي كان شديدًا؛ لأنه يتعامل مع مؤامرة تستهدف كيان المجتمع، وقد دمج النبي (ﷺ) بين البيان القرآني الذي كشف مقصدهم، والإجراء العملي الذي أزال رمز النفاق، ليكون درسًا للأمة بأن حماية الصف الإسلامي مقدمة على كل اعتبار.

3- مخاطبته (ﷺ) للمنافقين في حادثة الإفك:

عندما خاض بعض المنافقين في حادثة الإفك في عرض ام المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، كان الموقف شديد الخطورة على المجتمع، فنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (سورة النور:11)، وقد خطب النبي (ﷺ) في الناس، قائلًا:((يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي)) (ابن حبان، 1987، صفحة 277)، يقصد عبد الله بن أبي، كان هذا الخطاب يجمع بين الاستنهاض العاطفي للمؤمنين والتحذير من المنافقين، مما أظهر للمجتمع أن المنافقين هم أصل الفتنة، وأن على المؤمنين أن يكونوا سدًا أمام إشاعاتهم.

4- مخاطبته (ﷺ) للمنافقين في حياتهم اليومية:

لم يقتصر خطاب النبي (ﷺ) على مواقف الغزوات، بل كان يصف المنافقين بصفاتهم ليحذر المجتمع منهم، فقال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)) (البخاري، 1993، صفحة 21)، بهذا الخطاب التربوي وضع النبي (ﷺ) معيارًا دائمًا يربط بين السلوكيات اليومية والنفاق، ليبقى المجتمع واعيًا تجاه هذه الآفات الأخلاقية.

يتضح من هذه النماذج أن خطاب النبي محمد (ﷺ) للمنافقين جمع بين الفضح والردع والتوبيخ من جهة، والتربية والوقاية للمؤمنين من جهة أخرى، ففي بني المصطلق عالج فتنتهم، وفي مسجد الضرار أزال مركزهم، وفي حادثة الإفك حذر من إشاعاتهم، وفي حياته الاجتماعية فضح صفاتهم، وبهذا شكّل خطابه (ﷺ) منهجًا في حماية المجتمع من الداخل، إذ لم يترك المنافقين يعبثون بالأمة دون رد، بل واجههم بالكلمة والموقف معًا، فحفظ وحدة الصف الإسلامي.

ثالثًا: مخاطبة النبي (ﷺ) للمشركين.

امتاز خطاب النبي(ﷺ) للمشركين بالصدق والوضوح والرحمة، على الرغم مما لاقاه من صد وأذى، إذ لم يكن حديثه معهم مجرد ردود فعل آنية، بل كان خطابًا دعويًا يحمل أبعادًا إنسانية وتربوية، هدفه إنقاذهم من الضلال، وسنستعرض صورًا من مخاطبة النبي (ﷺ) للمشركين.

1- مخاطبته الدعوية(ﷺ) لعشيرته الأقربين:

عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (سورة الشعراء:214)، صعد النبي (ﷺ) على الصفا، فنادى قريشًا بلسان مباشر:((يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا)) (الدياربكري، صفحة 287)، هذا الخطاب المباشر يُظهر أن النبي(ﷺ) بدأ دعوته بمخاطبة أقرب الناس إليه، مستعملًا أسلوب التحذير الصريح، ليؤكد أن النجاة لا تقوم على القرابة وإنما على الإيمان، مما يرسخ مبدأ المساواة أمام العقيدة.

2- مخاطبته النبي(ﷺ) لقريش عند عرضهم المال والملك:

حين اجتمعت قريش وعرضت على النبي (ﷺ) المال والملك مقابل ترك دعوته، أجابهم قائلًا:((ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا نذيرا، فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم)) (ابن كثير، 1999، صفحة 128)، هذا الخطاب يعكس ثبات النبي (ﷺ) أمام ضغوط ومساومة المشركين له، وإصراره على أداء رسالته، ويوضح أن دعوته ليست طلبًا لدنيا وملك، بل تكليف رباني لا مساومة فيه.

3- مخاطبته النبي(ﷺ) في لحظة الأذى بالطائف:

عندما خرج النبي(ﷺ) يدعوا أهل الطائف، قابله أهل الطائف بالرفض والإساءة، حتى رموه بالحجارة وأذوه، وعلى الرغم من هذا الأذى الشديد لم يرد عليهم بالانتقام، بل لجأ إلى الدعاء إلى الله وحده قائلًا:((اللهم إني أشكو إليك ضعفي وقلة حيلتي وهواني على الناس... اللهم أنت رب المستضعفين... إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي)) (سبط ابن الجوزي، 2013، صفحة 124)،هذا الموقف يوضح صبر النبي(ﷺ) وتوكله على الله، ويعكس منهجه في الدعوة القائمة على الأخلاق والرحمة، حتى في مواجهة الأذى والخذلان.

4- مخاطبته(ﷺ) للمشركين في لحظة الأذى في غزوة أحد:

لما كسرت رباعية رسول الله (ﷺ) في غزوة احد وشجت جبهته واخذت الدماء تسايل على وجهه، قيل: يا رسول الله، ادع عليهم فقال(ﷺ): ((إن الله تعالى لم يبعثني طعانا ولا لعانا، ولكن بعثني داعية ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)) (ابن سيد الناس، 1993، صفحة 398)، ويتضح من هذا الموقف أسمى صور الرحمة النبوية في خطاب المشركين، إذ لم يدعُ عليهم على الرغم من قسوة أذاهم، بل التمس لهم العذر بالجهل، وطلب لهم الهداية، ومؤكدًا أن غايته إنقاذ خصومه لا القضاء عليهم.

ويتضح مما تقدم، أن خطاب النبي(ﷺ) للمشركين اتسم بالوضوح والرحمة والصدق، مع ثبات لا يتزعزع على المبدأ، فقد خاطبهم مرةً بالتحذير الصريح، وأخرى بالتذكير بالآخرة، ، وثالثة بالصبر على أذاهم دون مجابهة لفظية جارحة، ورابعة بالرحمة والدعاء لهم بالهداية وهذا التنوع في المخاطبة يعكس عمق المنهج النبوي في الدعوة، ويكشف عن خطاب دعوي متوازن يجمع بين الحجة والخلق الحسن.

الخـاتـمة:

إن الخطاب النبوي لم يكن مجرد كلمات عابرة، بل كان وسيلة بناء حضارة، أسس بها النبي (ﷺ) مجتمعًا متماسكًا تسوده الرحمة والعدل، وتبقى دراسته وتطبيقه في الواقع المعاصر ضرورةً حضارية، تسهم في مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تعيشها الأمة، ومن ابرز نتائج البحث:

1-امتاز الخطاب النبوي بالشمولية فقد كان موجهًا لفئات متعددة (رجال، ونساء، وأطفال، ومشركين، ومنافقين، وغيرهم)، وخوطبت كل فئة بما يناسبها من الأسلوب والمضمون.

2- اعتمد النبي (ﷺ) على أساليب متعددة في الخطاب مثل: الترغيب والترهيب والقصص، والسؤال والجواب والتشبيه وضرب الأمثال، مما زاد من فعالية الخطاب وتأثيره في المتلقين.

3- امتاز الخطاب النبوي بمراعاة الفروق الفردية، إذ لم يعتمد النبي (ﷺ) اسلوب مخاطبة واحد للجميع، بل كان يراعي مستوى الفهم والبيئة والعمر والظروف الاجتماعية والسياسية للفئة المخاطبة.

4- امتاز الخطاب النبوي بالرحمة واللين حتى مع المخالفين مما جعله أكثر قبولًا وتأثيرًا.

5- امتاز الخطاب النبوي بسهولة الألفاظ ووضوحها، وكانت كلماته موجزة ومؤثرة بعيدة عن التعقيد والتكلف مما جعلها سهلة الفهم والحفظ والنقل.

6- جسدت الخطابات النبوية في الغزوات والمواقف العامة روح القيادة الحكيمة، فكانت تجمع بين الحزم والتشجيع وبين التوجيه الديني والإعداد النفسي للمؤمنين.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1. احمد بن حنبل. (2001). مسند ابن حنبل . بيروت: مؤسسة الرسالة.
2. احمد بن فارس. (1969). معجم مقاييس اللغة . مصر: مطبعة مصطفى البابي.
3. البيهقي, احمد بن الحسين. (1985). دلائل النبوة . بيروت: دار الكتب العلمية.
4. ابو يعلى, احمد بن علي بن المثنى. (2013). مسند أبي يعلى . القاهرة، مصر: دار الحديث.
5. البزار, احمد بن عمرو بن عبدالخالق. (2009). مسند البزار . المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
6. ابن الجوزي, جمال الدين عبدالرحمن بن علي. (1992). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك . بيروت: دار لكتب العلمية.
7. الدياربكري, حسين بن محمد بن الحسن. (بلا تاريخ). تاريخ الخميس وأحوال أنفس النفيس . مصر: المطبعة الوهبية.
8. الطبراني, سليمان بن احمد بن ايوب. (1994). المعجم الكبير. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
9. ابو داود السجستاني, سليمان بن الأشعث. (2009). سنن ابي داوود . بيروت: دار الرسالة العلمية.
10. سبط ابن الجوزي, شمس الدين بن قز اوغلي بن عبدالله. (2013). مرآة الزمان في تواريخ الأعيان .دمشق: دار الرسالة العلمية.
11. الذهبي, شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (1993). تاريخ الإسلام ووفيات الأعلام (.بيروت: دار الكتب العربي.
12. الحميدي, عبد الله بن الزبير بن عيسى. (1996). مسند لحميدي. دمشق: دار السقا.
13. ابن أبي شيبة, عبد الله بن محمد. (2015). المصنف . الرياض: دار كنوز إشبيليا.
14. ابن الجوزي, عبدالرحمن بن علي. (2005). جامع المسانيد. الرياض: مكتبة الرشد.
15. الصنعاني, عبدالرزاق بن همام. (1983). المصنف .الهند: المجلس العلمي.
16. ابن المبارك, عبدالله بن المبارك بن واضح. (1986). مسند ابن المبارك . الرياض: مكتبة المعارف.
17. الدارمي, عبدالله بن عبدالرحمن. (2000). مسند الدارمي .السعودية: دار المغني.
18. ابن هشام, عبدالملك. (1955). السيرة النبوية. مصر: مطبعة مصطفى البابي.
19. ابن حزم, علي بن أحمد بن سعيد. (1995). جوامع السير .مصر: دار المعارف.
20. ابن كثير, عمادالدين إسماعيل بن عمر. (1998). تفسير القرآن العظيم . بيروت: دار الكتب العلمية.
21. ابن كثير, عمادالدين إسماعيل بن عمر. (1999). البداية والنهاية . القاهرة: دار هجر.
22. ابن الأثير, مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد. (1971). جامع الأصول في أحاديث الرسول .القاهرة: مكتبة الحلواني.
23. الشافعي, محمد بن ادريس. (2004). مسند الشافعي. الكويت: شركة غراس.
24. البخاري, محمد بن اسماعيل. (1993). صحيح البخاري. دمشق: دار ابن كثير.
25. الطبري, محمد بن جرير. (2001). جامع البيان. القاهرة: دار هجر.
26. ابن حبان, محمد بن حبان بن أحمد. (1987). السيرة النبوية وأخبار الخلفاء. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
27. ابن سعد, محمد بن سعد بن منيع. (1990). الطبقات الكبرى. بيروت: دار اكتب العلمية.
28. الواقدي, محمد بن عمر بن واقد. (1996). المغازي. لندن: جامعة أكسفورد.
29. الترمذي, محمد بن عيسى بن سورة. (2009). سنن الترمذي. بيروت: دار الرسالة.

30.ابن سيد الناس, محمد بن محمد بن محمد. (1993). عيون الأثر. بيروت: دار القلم.

31.ابن منظور, محمد بن مكرم. (1993). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

32. ابن ماجه, محمد بن يزيد القزويني. (2009). سنن ابن ماجه. بيروت: دار الرسالة.

33. البغوي, محي السنة الحسين بن مسعود. (1995). الأنوار في شمائل النبي المختار. دمشق: دار المكتبي.

34.مسلم بن الحجاج. (1955). صحيح مسلم. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي.

35. الغضبان, منير محمد. (1992). فقه السيرة النبوية. مكة: جامعة أم القرى.

36. النمري, يوسف بن عبدالبر. (1982). الدرر في اختصار المغازي والسير. القاهرة: دار العارف.

List of sources and references:

- **alquran alkarim**

1. Ahmad bin hanbul. (2001). kula abn hanbal . bayrut: muasasat alrisalati
2. Ahmad bin faris. (1969). muejam maeayir allugha . masra: matbaeat mustafaa albabi.
3. Albayhaqi ،ahmad bn alhusayn. (1985). dalayil alnubua . bayrut: dar alkutub aleilmiati.
4. Abu yaelaa ،ahmad bin ealiin bin almathnaa. (2013). kubi 'abi yaelaa . alqahirata، masra: dar alhadithi
5. Albazaar ،ahmad bin eamriw bin eabdalkhaliq. (2009). musaeidat bazar . almadinat almunawarati: maktabat aleulum walhakmi.
6. Bn aljuzi ،jamal aldiyn eabdalrahman bin ealii. (1992). yahdur fi tarikh al'umam almutahidat walmuluk . bayrut: dar lilkutub aleilmiati..
7. Aldiyarkiri ،hasin bin muhamad bin alhasan. (bla tarikhu). tarikh alkhamis wa'ahwal 'anfus alnafis . masira: almatbaeat alwahbiati..
8. Altabrani ،sulayman bn ahmad bin ayub. (1994). almuejam alkabiru. alqahirati: maktabat abn taymiatin..
9. Abu dawud alsajistani ،sulayman bin al'asheath. (2009). sunan abi dawuud . bayrut: dar alrisalat aleilmiati.
10. Sabt abn aljuzi ،shams aldiyn bin qiz awghuli bin eabdallah. (2013). alzaman fi mawaeid alaeian .dimashqa: dar alrisalat aleilmiati..
11. Aldhahbi ،shams aldiyn muhamad bin 'ahmad bin euthman. (1993). tarikh al'iislam wawafayat al'aelam (.birut: dar alkutub alearabiati..
12. Alhumaydii ،allahaebad bin alzubayr bin eisaa. (1996). musaeidat lihmidi. dimashqa: dar alsaqaa.
13. Abn 'abi shaybata ،allahaeabad bin muhamad. (2015). wana . alrayad: dar kunuz 'iishbilya.
14. Abn aljawzi، abdalrahman bin eali. (2005). jamie almasanidi. alrayad: maktabat alrushdi
15. Alsanaani، eabdalrazaaq bn hamamalmani. (1983). wahum .alhindi: almajlis aleilmiu..15
16. Abn almubaraki ،eabdallah bin almubarak bin wadih. (1986). kula abn almubarak alrayad: maktabat almaearifi..
17. Aldaarimi ،eabdallh bin eabdalrahman. (2000). 'iidarat aldaarimii .alsueudiatu: dar almighni.
18. Bin hisham ،eabdalmalik. (1955). alsiyrat alnabawiatu. masra: matbaeat mustafaa albabi
19. Abn hazma، ealiin bin 'ahmad bin saeid. (1995). jawamieaearif alsayr .masir: dar almaearifi.
20. Abn kathirin، eimadaldin 'iismaeil bn eumar. (1998). tafsir alquran aleazim . bayrut: dar alkutub aleilmiati.
21. Abn kathirin، eimadaldiyn 'iismaeil bin eumar. (1999). albidayat walnihaya . alqahirat : dar hijr.
22. Bin al'athir، majd aldiyn 'abu alsaeadat almubarak bin muhamad. (1971). jamie al'usul fi 'ahadith alrasul .alqahirati: maktabat alhulwani.

23. Alshaafieii، muhamad bin adris. (2004). musaeidat alshaafieii. alkuayt: sharikat ghras.
24. Albukhari، muhamad bn asmaeil. (1993). sahih albukharii. dimashqa: dar abn kathiri.
25. Muhamad bin jarir. (2001). jamie albayan. alqahirat : dar hijr.
26. Altabri, Bin hiban ،muhamad bin hibaan bin 'ahmad. (1987). alsiyrat alnabawiat wal'akhbar alkhalfiatu. bayrut: muasasat alkutub althaqafiati..
27. Abn saeda ،muhamad bin saed bin maniye. (1990). altabaqat alkubraa. bayrut: dar aktub aleilmiata.
28. Alwaqidi ،muhamad bin eumar bin waqid. (1996). maghazi. landan: jamieat 'uksufurdi.
29. Altirmidhi ،muhamad bin eisaa bn surat. (2009). sununun altirmadhi. bayrut: dar alrisalati.
30. Bn sayid alnaasi ، muhamad bin muhamad bin muhamad. (1993). euyun altahalil . bayrut: dar alqalami.
31. Abn manzur ،muhamad bin makram. (1993). lisan alearbi. bayrut: dar alsaadir.
32. Abn majah ،muhamad bin yazid alqizwini. (2009). sunan abn majah. bayrut: dar alrisalati.
33. Albaghway ،mahi alsanat alhusayn bin maseud. (1995). al'anwar fi shamayil alnabii almukhtar. dimashqa: dar almaktabi.
34. Mislim bin alhajaji. (1955). sahih muslm. alqahirati: tabeat mustafaa albabi.
35. Alghadban، mnir muhamad. (1992). fiqh alsiyrat alnabawiati. makatu: jamieat 'umi alquraa.
36. Alnamri ،yusif bin eabdalbar. (1982). aldarar fi akhtisar almaghazi walsayra alqahirati: dar alearif.

Vol 13, Issue 44, May 2026
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X